الأعظم هو تجسُّد الإله، أو أن الثالوث الحلولي (الإله ـ الأرض ـ الشعب) يكوِّن كلاً حلولياً عضوياً مركزه كامن فيه. كما أن افتراض تشابه الماكروكوزم (الكون الأكبر) بالمايكروكوزم (الكون الأصغر، أي الإنسان) هي صورة مجازية أساسية في النظم الحلولية مثل القبَّالاه والهرمسية. وتظهر في المنظومات المعرفية العلمانية (الحلولية الكمونية الواحدية) صور مجازية عضوية متواترة. فالأرض هي أهم عناصر القوميات العلمانية، وهناك الحديث عن القومية العضوية. وتسود تفسيرات عضوية لحركة التاريخ والمجتمع مثل نظرية داروين. والتفكير العنصري النازي والصهيوني تفكير عضوي شمولي.

وتستمر عملية الاختزال، فبعد أن يُختزل الإنسان إلى جسده، يُختزل جسده إلى نشاطه الجنسي وإلى أعضاء التذكير والتأنيث، أي أنها حركة اختزالية مستمرة نحو قاسم مشترك أعظم أو أصغر، ونقطة صفر نهائية تختفي عندها النتوءات والسمات الخاصة وكل الثنائيات الناجمة عن الإيمان بالمرجعية المتجاوزة.

ويُلاحَظ أن ما يُسمَّى «فلسفة الجسد والجنس» قد حقق شيوعاً غير عادي في الآونة الأخيرة في العالم الغربي. وكي ندرك أطروحة الجسد كأساس للفلسفة، والجنس كأهم العناصر فيه، قد يكون من المفيد أن نقتبس بشيء من الاستفاضة من واحد من أهم الفلاسفة المحدثين وهو آرثر شوبنهاور (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠) الذي طور الصورة المجازية العضوية، ووصل بها إلى صورتي الجسد والجنس بحسبانهما الصورتين الإدراكيتين الأساسيتين في الحضارة الغربية الحديثة. فشوبنهاور يذهب إلى أن هناك إرادة الحياة والبقاء، ولكن هناك أيضاً عدوها الأبدي (الموت والفناء). والحياة هي الجسد، وإرادة الحياة هي إرادة الجسد، فليس الجسم كله إلا إرادة تجسَّدت. كما أن الجنس الإنساني بصفة عامة يقابل الإرادة بصفة عامة، فالبنية الجسدية للفرد تقابل إرادة الفرد، أي شخصيته، وتعبِّر الإرادة عن نفسها في نشاط أساسي هو التناسل (الجنس): «كل كائن عضوي يسارع إلى التضحية بنفسه من أجل التناسل إذا ما بلغ حد النضوج، من العنكبوت الذي تلتهمه أنثاه بمجرد تلقيحه